الفصل الثالث

أهداف الجهاد

إن الهدف من الجهاد الأكبر الذى فرضه الإسلام على كل إنسان يتحقق بتهذيب الفرد لنفسه، ومجاهدة هواها، وعدم الانحراف إلى المعاصى، والإلتزام الدائم بإطاعة أوامر الله سبحانه، والانتهاء عن نواهيه، والاقتداء بما جاء فى القرآن الكريم، وفى سنة نبينا محمد ﷺ.

والإنسان الذى ينجح فى هذا الجهاد يحقق لنفسه السعادة والسكينة فى الحياة الدنيا، ورضا الله والجنة فى الآخرة.

أما الأهداف التى تتحقق للمجاهد فى مجال (الجهاد الأصغر)، والذى يتمثل فى مواجهة المعتدين على الدين، أو الأنفس، أو الكرامة أو الوطن، فهى أهداف كثيرة، منها:

النجاح فى الدفاع عن النفس: قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ [الحج: ٣٩- ٤٠]. ومن أهداف الجهاد، الدعوة إلى الإسلام وإتاحة الفرصة للضعفاء الذين يريدون اعتناقه، يرد عدوان المعتدين عليهم لقد كان كثير من سكان مكة ومن العرب يميلون للإسلام ويريدون اعتناقه لكنهم كانوا يخافون أن ينزل بهم ما نزل بمن سبقوهم إلى الإسلام من عذاب وإيذاء، حتى اضطر كثيرون ممن أحبوا الإسلام اعتناقه سرا دون أن يعلنوا عن ذلك، فأذن الله لرسوله وللمؤمنين

أن يحملوا الدعوة ويؤمنوا من يدخل فيها قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ [النساء: ٧٥].

فى مكة: كان الرسول وحيدا لا سلاح معه ولا مال، ثم دخل معه الدعوةَ مجموعةٌ من عظماء الرجال.

وفى المدينة: سعى أهل المدينة إلى الإسلام بمحبة وحماسة وحين جاء الصليبيون إلى الشرق جذب الإسلام جموعًا منهم، فدخلوا فيه وحاربوا فى صفوف المسلمين.

وفى القرن السابع الهجرى، هاجم (المغول) الجانب الشرقى من العالم الإسلامى، هجومًا وحشيًا، ولكن سرعان ما اجتذب الإسلام الكثيرين من الغزاة.

ويحدثنا التاريخ أن أهم فترة انتشر فيها الإسلام هى (فترة السلم) الذى ساد بعد (صلح الحديبية) بين قريش والمسلمين[1].

لا يهدف الإسلام من أى حرب أو (جهاد) إلى قتل أو قتال، أو تدمير، أو عدوان على الطرف الآخر، وإنما يهدف فى الدرجة الأولى إلى (الدفاع) ضد من يبدأ العدوان.

وهو من ناحية أخرى يهدف إلى نشر الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة فى سلام ومحبة، دون عوائق من متآمرين عليه، دون فهم، أو محاولة للفهم وهو قد يضطر إلى ردّ محاولات الهجوم والعرقلة، بهجوم ليرى الأعداء قدرته أو قدرة الداعين إليه. ويهدف الإسلام من (الجهاد) إلى (الدفاع) عن ديار المسلمين، وأرواحهم.

---

(١) د. أحمد شلبي- الإسلام و القتال. الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ٢٠٠١- ص٨: ص١١.

والجهـاد فى الإسـلام لم يهـدف قط إلى الإعتـداء، أو إلى حروب لأسـباب اقتصادية، أو توسعية، لذا لم يعرف الإسلام (الحروب) التى تقـوم بين المسـلمين، واعتبرها عدوانـا. وذكر مثل هـذه الحروب فى قوله تعـالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات: ٩].

هكذا يكون الأمر بالصلح بين الفريقين المتقاتلين، فإن بغت إحداهما تكـون الضـرورة لقتالها حتى تفئ إلى أمر الله، إن المسـلم لا يبدأ بقتال أعدائه إلا دفاعًا، وليس عدوانًا، ولا يقاتلهم إذا جنحوا للسـلم، فكيف يقاتل المسلم أخاه؟!.

لقد دعا الإسـلام إلى التعـاون بين الدول وتبـادل المنافع، والعلوم، واستعمال العقول فيما يفيد البشرية.

وأكّد أن (الحروب) لا مبرر لها قط إلا إذا كانت دفاعًا عن الأرض أو الدين، أو العِرض والحريات، أو المقدسـات، لتسود (الأخوة الإنسانية) بين البشر جميعًا، فى كل زمان، وفى كل مكان، وقد استفادت الحضارة الغربية فى مكوناتها منذ القدم من الحضارة الإسلامية.

كما أن الحضارة الإسـلامية المعاصرة تستفيد من حضارة الغرب، مما يحفز العقول السـليمة أن تعى مفهوم التعايش السـلمى الذى يدعو إليه الإسـلام وأن تجتنب (الصراع) الذى لا يفيد منه أحد، ليعيش الجميع فى سـلام يدفع البشـرية إلى التقدم والرقى والأمان، إن قتال النبى ﷺ لم يكن إلا دفعا للاعتداء حين أرسـل رسـوله إلى قيصر وإلى كسرى وإلى

المقوقس والنجاشي وملوك العرب بالشرق والشام فدخل فى الإسلام من النصارى وغيرهم من دخل، فلما بدأ النصارى بقتل المسلمين أرسل النبى ﷺ سريةً أمَّر عليها زيد بن حارثة ثم جعفر ثم ابن رواحه.. وهو أول قتال قاتله المسلمون بمؤتة من أرض الشام[1] لا يهدف الجهاد فى الإسلام إلى الهجوم أو الصدام وإنما يعنى فقط بالدفاع.

• ويعبر عن رؤية الإسلام هذه الآية الكريمة: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾[الأنفال: ٦٠].

وعبارة: ﴿ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾، تؤكد معنى الجهاد فى الإسلام وأهدافه، فهو لا يريد قتل الأعداء، ولا التخلص منهم، وإنما يريد كف عدوانهم، ومجرد إرهابهم، أو تخويفهم فحسب، وهو بذلك يبتعد عن التقاتل، والصراع.

إن الهدف الأساسى من الجهاد أو (التقاتل). هو رد الاعتداء، لأنه بعد أن انتشر الإسلام فى البقاع صار المسلمون فى وسط أعدائهم الذين يتحينون الفرصة للانقضاض على الإسلام وأهله، وإن سكتوا فليستعدوا ويضربوا الضربة التى يرونها قاصمة، فكان لابد أن يسبقهم الإسلام. والهجوم فى أحيان كثيرة قد يكون الطريق الوحيد لرد الاعتداء.

لكن الإسلام لا يريد أن يأخذ مخالفيه على غرة، بل هو يعلنهم وقبل الهجوم، وإعلانه دليل على أنه لا يقصد بالقتال أن يستولى على أرضٍ، بل يريد أن يأمن جانبهم، إما بالعهد يعقدونه أو

(١)أحمد بهجت. صندوق الدنيا- جريدة الآخر القاهرية ١٧ نوفمبر سنة ٢٠٠٨.

بالإسلام يعتنقونه، فإن لم يكن واحدًا من هذين فلابد أن يقوا أنفسهم منه.

لقد تحقق الجهاد فى الإسلام، بدافع وحيد هو دفع الاعتداء. أى رد العدوان. وهذا واضح فى نصوص القرآن الكريم، وأحكام السنة النبوية، فلم يقاتل النبى ﷺ لفرض الإسلام دينًا على المخالفين، ولا لفرض نظام اجتماعى قال تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ﴾(البقرة ٢٥٦) وأكدت النصوص القرآنية أن القتال فى الإسلام لا يكون إلا لرد العدوان، وقد تأمل الشيخ محمد أبو زهرة[1] فى كتابه (نظرية الحرب فى الإسلام).

هذه المعانى التى جاءت فى الآيات الكريمة:

• ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٤].

• قال تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ الممتحنة (٨،٩).

إن الجهاد فى الإسلام يهدف إلى تحقيق السلام والرخاء للبشرية، والبعد عن العنف، والتخريب.

وقد عزَّز التاريخ العظيم للعالم الإسلامى كلَّ معانى التسامح، والمحبة، والتعايش السلمى بين البشر...

---

(١)محمد أبو زهرة - نظرية الحرب فى الإسلام.